

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- شيخنا محمد بن بكر أرشوم -

حياة في الكفاح... -منعة لكم... وشموغ أمد-

... تَمْضِي الْأَيَّامُ تَتْلُوهَا الْأَيَّامُ... والأعوامُ تَتْبَعُهَا الأعوامُ... لِكَيْهَا لَا تُطِيقُ أَنْ تَمْسَحَ عَنْ قُلُوبِنَا ذِكْرَكَ،... بَلْ لَا تَمُرُّ إِلَّا وَتَزِيدُهَا -كُلَّ يَوْمٍ- رُسُوحًا وَثَبَاتًا...

... مَهْمَا تَهَاطَلَتِ الْكَلِمَاتُ... وَتَرَكَمَتِ الْكِتَابَاتُ... فَإِنَّهَا لَا تَفِي بِحَقِّكَ مَهْمَا حَاوَلْتَهُ، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا أَنْ تَقِفَ عَاجِزَةً أَنْ: "لَنْ يُؤْفِيَ حَقَّكَ إِلَّا الْكَرِيمُ الرَّحْمَنُ..."

... لَا تَزَالُ رِيَانُ وَفِيَّةً لَكَ، وَلِعَظِيمِ أَعْمَالِكَ.. وَجَلِيلِ آثَارِكَ.. وَأَنْتَ عِنْدَهَا فِي سِجْلِ الْخَالِدِينَ.. وَلَا يَزَالُ قَدْرُكَ فِي نُفُوسِ أَهْلِهَا يَسْمُو وَيَنْمُو.. وَلَا تَزَالُ صُورَتُكَ بَاقِيَةً مَا عَفَاها الزَّمَنُ.. وَلَا يَزَالُ صَدَى صَوْتِكَ يُجَلْجِلُ فِي الْمَنَابِرِ.. فَتَهَيَّزُ لَهُ النُّفُوسُ شَوْقًا وَاجْتِلَالًا...

... رَحِمَكَ اللَّهُ شَيْخَنَا.. وَأَسْكَنَكَ فَسِيحَ مَثْوَاهُ.. وَفَرَدُوسَهُ الْأَعْلَى، وَالْحَقَّكَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.. وَحَسَنَ أَوْلَيْكَ رَفِيقًا..

... رَغِمَ أَنْيَّ مَا أَدْرَكْتُكَ طَوِيلًا.. فَقَدْ رَحَلْتَ قَبْلَ أَنْ أُرْوِيَ مُهْجَتِي مِنْ عَذْبِ مَنَهْلِكَ.. وَقَبْلَ أَنْ أُمْتَعَ عَيْنِي مِنْ سِحْرِ بُسْتَانِكَ.. وَقَبْلَ أَنْ يَطْرَبَ سَمْعِي لِبَدِيعِ أَنْعَامِكَ.. وَقَبْلَ أَنْ أُزَكِّي نَفْسِي بِجَمِيلِ خِصَالِكَ.. إِلَّا أَنِّي أَكْتُبُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ بِمَدَادِ قَلْبِي وَرُوحِي.. وَأُهْدِيهَا لِرُوحِكَ الطَّيِّبَةِ الزَّكِيَّةِ.. مُرَصِّعًا فِيهَا بَعْضَ مَا لَاحَ لِي مِنْ عَظِيمِ خِلَالِكَ.. عَلَيَّ أَزْتَقِي بِهَا دَرَجَةً مِنْ دَرَجَاتِ الْوَفَاءِ..

... أَقُولُهَا بِاسْمِي.. وَبِاسْمِ رِيَّانِ الْحَبِيبَةِ.. وَبِاسْمِ كُلِّ مَنْ عَرَفَكَ وَاسْتَفَادَ مِنْكَ شَرْقًا وَغَرْبًا.. عَسَى أَنْ نَلْتَقِيَ بِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.. آمِينَ.. آمِينَ..<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - هذه مجموعة شعريَّة في حياة شيخنا "محمد بن بكر أرشوم" -رحمه الله تعالى-.. تعرضُ كُلَّ مقطوعةٍ جانبًا من جوانب حياته، مع مقدِّمةٍ أوَّلًا وخاتمةٍ آخِرًا... كتبُها مختلِفةُ القوافي، لكنَّها جميعًا من بحرٍ واحدٍ وهو: بحرُ البسيط.. كما أنَّ بينها تناسقًا في المعنى وتوافقًا في المضمون.

## ١- "يَا شَعْرُ هَيَّا اسْتَفِقِي..." - مُقَدِّمَةٌ..

يَا شَعْرُ هَيَّا اسْتَفِقِي.. وَلْتَفْتَحِ الْبَابَا  
بَحْرُ الْمَعَانِي بِأَعْمَاقِي رَبَا وَرَبَا  
فِي حَقٍّ مَنْ قَلَّتِ الْأَشْعَارُ لَوْ كَثُرَتْ  
سَلِ الزَّمَانُ.. وَسَلِ رَيَّانُ: مَنْ هُوَ مَنْ..؟  
سَلِ الْمَعَاهِدَ تُبَيِّكِ الْجَوَابَ، وَسَلِ  
شَيْخِي مُحَمَّدُ أَرْشُومُ الَّذِي سَطَعَتْ  
مَنْ كَانَ... مَنْ كَانَ... جِبْرِي جَفَّ حِينَ سَمَا  
وَهَلْ تَفِي هَذِهِ الْأَلْقَابُ لَوْ كَثُرَتْ  
كَلَّا.. فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا مُحَاوَلَةٌ  
لَا.. لَا تَشْحَ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ شَجَنِ  
وَأَجْعَلْ بَيَانَكَ أَمْطَارًا تَسُحُّ بِلَا  
لَا تَنْحَبِسْ فِي مَضِيقِ مِنْكَ مُنْزَوِيَا  
وَاسْتَلْهِمِ اللَّفْظَ مِنْ مَعْنَاهُ.. كُنْ حَذِرًا  
فَالشَّعْرُ أَحْسَنُهُ إِنْ كُنْتَ تَكْتُبُهُ  
وَلَا تَمَلَّ مِنَ الْأَبْيَاتِ تَنْظُمُهَا  
وَلْتَعْتَقِدْ أَنَّ هَذَا مِنْكَ مَفْخَرَةٌ  
بَلْ أَنَّ هَذِي الْقَوَافِي مِنْكَ مَقَرَّبَةٌ  
يَا رَبِّ عَوْنًا عَلَى مَا رُمْتُ مِنْ أَرْبِ  
وَسَهْلٍ الصَّعْبِ، وَاحْلُلْ عَقْدَ نُطْقِي، وَافُ  
وَارْحَمْ -إِلَهِي- شَيْخِي، وَاجْزِهِ كَرَمًا

قَدْ طَالَ شَوْقِي لِمَا أَبْدِيهِ إِعْرَابَا  
حَتَّى تَفَجَّرَ إِكْبَارًا وَإِعْجَابَا  
فِيهِ.. وَوَلَّى يَرَاغُ النَّثْرَ مُرْتَابَا..!!  
سَلِ غَرْسَهُ مُرْهَرًا.. وَالْيَوْمَ قَدْ طَابَا  
مَنْ شِئْتُ -إِنْ شِئْتُ- حُضَارًا وَغِيَابَا  
مِنْ شَمْسِهِ شَمْسَنَا.. مَنْ كَانَ أَوَابَا  
لِكُنِّي يُقْلِدُهُ التَّيْجَانَ أَلْقَابَا  
مَا وَشَحَتْ نَفْسُهُ حُسْنًا وَآدَابَا؟  
تُبَيِّ<sup>٢</sup> بَانَ بَيَانِي فِيهِ قَدْ خَابَا  
وَلْتَجْعَلِ الشَّعْرَ بَحْرًا مِنْكَ مُنْسَابَا  
تَوَقَّفِ، وَاجْعَلِ الْأَشْجَانَ مِيزَابَا  
بَلْ أَطْلِقِ الْفِكَرَ فِي الْآفَاقِ جَوَابَا  
مَنْ أَنْ تُلَبَّسَهُ عُسْرًا وَإِعْرَابَا  
بِحَبْرِ قَلْبِكَ.. وَالْإِحْسَاسُ قَدْ ذَابَا  
فِي حَقٍّ مَنْ زَانَ أَحْسَابًا وَأَنْسَابَا  
تَرْقَى بِهَا فِي مَعَالِي الْمَجْدِ أَسْبَابَا  
إِلَى الْإِلَهِ.. بِهَا يَكْسُوكَ أَثْوَابَا  
إِفْتَحْ لِفِكْرِي أَبْوَابًا وَأَبْوَابَا  
بَلْ جُهْدَ عَبْدِكَ.. لَا تَجْعَلْهُ أَنْعَابَا  
وَأَعْلِ مُدْخَلَهُ فِي مَنْزِلِ طَابَا

## ٢- "شَيْخُنَا.. بَيْنَ احْضَانِ الْعِلْمِ وَالْتَعْلِيمِ"

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَطْوَارًا  
كَمْ غَافِلٍ أَظْلَمَتْ دُنْيَاهُ فَانْكَشَفَتْ  
فَالْعِلْمُ أَشْرَفُ مَا يَحْوِيهِ قَلْبُ فَتَى  
طُوبَى لِمَنْ صَارَ هَذَا الْعِلْمُ مِنْهَلَهُ  
وَأَوْقَدَ الْعِزْمَ وَالْإِقْدَامَ مُحْتِمَلًا  
حَتَّى ارْتَقَى لِشُمُوسِ الْعِلْمِ مَنْ سَطَعَتْ  
أَعْلَامُ وَحْيٍ وَدِينٍ فَاقَ مَبْلَغُهُمْ

وَلَمْ يَدْعُهُ مَعَ الْأَمْوَاجِ مُحْتَارًا  
بِالْعِلْمِ ظَلَمَ أَوْهَا.. فِي دَرْبِهِ سَارَا  
وَالْعِلْمُ أَجْمَلُ مَا يَجْنِيهِ أَثْمَارَا  
صُبْحًا وَظَهْرًا وَأَصَالًا وَأَشْحَارَا  
فِي دَرْبِهِ ذَاكَ أَهْوَالًا وَأَخْطَارًا..!!  
ظَلَمَ أَوْنَا بِهِمْ، وَالْجَهْلُ قَدْ غَارَا  
بِهِمْ تَزَيَّنَتْ الْأَرْجَاءُ أَزْهَارَا

٢ - أَصْلُهَا: "تُبَيِّ" - بِالْهَمْزَةِ - ثُمَّ حُقِّقَتْ يَاءٌ سَاكِنَةٌ.

مِنْ بَيْنِهِمْ -يَا حَلِيلِي- شَيْخُ بَلَدَتِنَا  
مَنْ أَسَّسَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ فَازْتَفَعْتُ  
رَبَّكَ وَالِدُكَ الشَّيْخُ الَّذِي سَطَعَتْ  
فَكُنْتَ تَقْتَبِسُ الْأَنْوَارَ مِنْهُ إِلَى  
شَيْخِي مُحَمَّدٍ الْمِقْدَامُ كَمْ حَيَّيْتُ  
كَمْ مِنْ خَوَاءٍ قِفَارٍ لَا غِرَاسَ لَهَا  
وَكَمْ أَجَاجَ رَوَى قَدْ غَارَ مَنْبَعُهُ  
وَالْفَتْحُ" قَدْ أَلْبَسَتْ خَضْرَاؤُهُ حُلَلًا  
فَكُنْتَ بِالْعِلْمِ تَحْيَا كُلَّ ثَانِيَةٍ  
"رِيَانُنَا" .. وَ"مِزَابُ" .. بَلْ "جَزَائِرُنَا" ...  
خَلَفْتَ كُتُبًا حَوَتْ مِنْ حُسْنِهَا دُرَرًا  
مِنْهَا الَّذِي وَضَحَ التَّارِيخُ فِيهِ<sup>4</sup> فَكَأ  
فَمِنْهُ قَدْ عَرَفَ الْفِتْيَانُ أَصْلَهُمْ  
مِنْهَا الَّذِي سَرَدَتْ يُفْنِكَ سِيرَةَ مَنْ  
فَكَانَ مِنْكَ وَفَاءً عَزَّ مَظْهَرُهُ  
آثَارُ عِلْمِكَ لَاحَتْ وَهِيَ مُشْرِقَةٌ  
فَلْتَقْتَدُوا نَشْنَنًا.. أَحْيُوا صَمَائِرَكُمْ  
عَلَيْكَ رَحْمَةُ رَبِّي مَا انْبَرَى قَلَمٌ

أَعْظَمَ بِهِ بَطْلًا شَهْمًا وَمِعْوَارًا  
مِنْ غَرْسِهِ نَاطِحَاتٍ فُقِنَ إِبْهَارًا  
مِنْهُ الْعُلُومُ عَلَى رِيَانٍ أَعْصَارًا  
أَنْ صِرْتَ شَمْسًا... فَوَلَّى اللَّيْلُ مُحْتَارًا  
بِكَ الْفَسَائِلُ صِرْنَ الْيَوْمَ أَشْجَارًا  
قَدْ صِرْنَ بَعْدَكَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارًا  
قَدْ عَادَ مِنْكَ نَمِيرَ الْمَاءِ ثَرَارًا  
مَنْ نَسَجَ كَفْكَ حَتَّى شَعَّ أَنْوَارًا<sup>3</sup>  
تُحْيِي بِهِ النَّشْءَ.. صَارُوا الْيَوْمَ أَقْمَارًا  
فَكُلُّهُمْ شَهِدُوا.. وَالْدَّهْرُ مَا وَارَى..!!  
تَرْجُو لِعِلْمِكَ إِخْبَارًا وَإِظْهَارًا  
نَ مَوْثِلًا فِيهِ يَلْقَى الصَّدَقَ مَنْ حَارًا  
فَرَادَهُمْ ذَاكَ إِفْرَارًا وَإِضْرَارًا  
رَقَّاكَ فِي الْعِلْمِ حَتَّى غُصَّتْ إِجْحَارًا<sup>5</sup>  
سَمَّا بِهِ خُلُقَكَ الْخَلَابُ أَقْدَارًا  
وَلَيْسَ يُنْكِرُهَا إِلَّا الَّذِي جَارًا  
وَلْتَفْتَفُوا لَهُمْ طُرْقًا وَأَثَارًا  
فَخَطَ مِنْ حَبْرِهِ عِلْمًا وَأَسْفَارًا

### 3- "شَيْخُنَا... عَلَى قُرَى الْمَنَابِرِ"

لَمَّا أَتَيْتُ إِلَى الْمِحْرَابِ أَسْأَلُهُ  
مَاذَا دَهَاكَ وَأَحْزَانُ تَكْفِكُفُهَا  
أَجَابَنِي: إِنِّي أَرْنِي مُحَمَّدًا<sup>6</sup> مَنْ  
آه... لَقَدْ كَانَ شَيْخُ الْوَعْظِ حَيْثُ عَلَا  
يَسِي فُوَادَكَ إِنْ أَطْرَقَتْ مُسْتَمِعًا  
تَسْمُو بِهِ الرُّوحُ لِإِلَاقِ هَائِمَةٍ  
تَشْدُو وَتَرْهُو مَعَ الْأَنْعَامِ يُنْشِدُهَا..  
فُوَادُهُ مِنْ وَرَاءِ اللَّفْظِ يَنْسُجُهُ

مَا بَالُ دَمْعِكَ يَا مِحْرَابُ قَدْ سَكَبَا  
هَلْ حَلَّ شَيْءٌ تَرَى يَسْتَوْجِبُ الْعَجَبَا  
وَلَّى وَخَلَفَ حُزْنَ الْقَلْبِ مَا اِزْتَابَا  
فَسُحْرُ إِلْقَائِهِ يَسْتَحْدِثُ الْعَجَبَا..!!  
بَيَانُهُ<sup>7</sup>، وَتَرَى الْإِحْسَانَ قَدْ طَرَبَا  
حَتَّى تَغَادِرَ سَجْنَ النَّفْسِ وَالتَّعَبَا  
إِيقَاعَهَا صِدْقُهُ، بِهِ النُّفُوسُ سَبَا..!!  
فَمَا تَرَاهُ عَدَا فِي الْقَوْلِ أَوْ كَذَبَا

3 - الضَّمِيرُ فِي "شَعَّ" يَعُودُ إِلَى "الْفَتْحِ".

4 - المقصودُ به سلسلة "الواضح في التاريخ" التي ألفها وصارت مُقَرَّرًا لطلّاب المدارس القرآنيّة.

5 - المقصودُ به كتابُهُ "صفحات مشرقة... من حياة والدي بكير أرشوم -رحمه الله تعالى-".

6 - مُنِعَ مِنَ الصَّرْفِ ضَرُورَةً شَعْرِيَّةً.

7 - "بَيَانُهُ" فَاعِلٌ لِـ"يَسِي" مُؤَخَّرٌ عَنْ مَفْعُولِهِ.

تَرَاهُ يُبْجِرُ فِي الْأَعْمَاقِ مُلْتَقِطًا  
وَبَيْنَ أَفْنَانِ زَهْرٍ سَرَّ مَنْظَرُهَا  
إِخْلَاصُهُ وَهَبَ الْأَلْفَاظَ صِبْغَتَهَا  
قَدْ يَسَّرَ الدِّينَ لِلْأَفْهَامِ قَاطِبَةً  
حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ الْحَاضِرِينَ عَلَى  
وَلَا تَسْلُ عَنْهُ إِنْ جَاءَتْهُ شِدَّتُهُ  
تَرَى هَزْبًا عَلا قَدْ سَلَّ فِي جَلْدٍ  
لَمْ يُثْنِهِ مَوْجُهُ الْمُغْتَاطِ حِينَ رَبَا  
حَتَّى لَيَزْتَغِدُ الرَّائِي لِهَيْبَتِهِ  
لَكِنَّهُ دَمَثُ الْأَخْلَاقِ عَالِيَهَا  
فَهَلْ -أَيَا نَشْءٍ- أَظْهَرْتُمْ لَهُ مَثَلًا  
عَلَيْكَ رَحْمَةُ رَبِّي مَا ارْتَقَى لِسِنُّ

جَوَاهِرًا وَخَرِيدًا نُورُهَا خَلَبَا  
يَسِيرُ مُقْتَطِفًا مَا زَانَ وَاجْتَدَبَا  
فَاللَّفْظُ لِلْقَلْبِ لَمْ يُخْطِئْهُ حِينَ نَبَا  
أَسْلُوبُهُ سَلِسٌ سَهْلٌ وَمَا صَعَبَا  
كَفَّيْهِ مُسْتَحْدِثًا فِي عُمُقِهَا عَجَبَا  
فَقَامَ لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ قَدْ غَضِبَا  
حُسَامَهُ، وَعَلَى الطُّغْيَانِ قَدْ وَثَبَا  
وَلَمْ يُلْنَهُ شَدِيدُ الرِّيحِ مُضْطَرِبَا.. !!  
أَعْظَمَ بِهَا هَيْبَةً.. ! أَعْظَمَ بِهِ غَضَبًا.. !!  
فَحَازَ عِلْمًا وَحُسْنَ الْقَوْلِ وَالْأَدَبَا  
أَمْ أَنْ فَيْكُمْ وَفِي تَعْلِيمِكُمْ عَظَبَا  
ذُرَا الْمَنَابِرِ فَاهْتَرَّتْ لَهُ طَرَبَا.. !!

#### 4- "شَيْخُنَا.. بَيْنَ رَحْضَانِ مُجْتَمَعِهِ"

قَدْنِي<sup>8</sup> أَيَا خِلُّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ شَجَنِ  
فَقَدْ وَفَيْتَ مِنَ الْأَوْصَافِ أَحْسَنَهَا  
بَلِ اسْتَمِعْ يَا صَدِيقِي لَا تَكُنْ عَجَلًا<sup>9</sup>  
فَلِإِنَّهُ حَازَ مِنْ أَوْصَافِهِ عَجَبًا  
فَلَمْ يَكُنْ عَنْ صُنُوفِ النَّاسِ مُنْزَوِيًا  
بَلْ عَاشَ فِي أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ يَتَلَقَّ  
سَلَّ عَنْهُ أَيَّتَمَانًا.. سَلَّ الْأَرَامِلَ.. سَلَّ  
فَكَانَ يَمْسَحُ عَنْهُمْ دَمْعَهُمْ وَيُدَا  
قَدْ ذَابَ إِحْسَاسُهُ -أَوْ كَادَ- مِنْ أَلَمٍ  
حَتَّى كَأَنَّ هُمُومَ النَّاسِ يَحْمِلُهَا  
أَكْرِمَ بِمَا فِيهِ مِنْ قَلْبٍ تَحَمَّلَهُ  
وَاسْأَلْ عَشِيرَتَهُ مَا كَانَ يَخْدُمُهَا  
سَلَّ وَفَدَ حُجَّاجِنَا تَلْقَاهُ بَيْنَهُمْ  
دُرُوسُهُ فِيهِ<sup>11</sup> قَدْ فَاحَتْ بِطِيبٍ شَدَا

وَهَلْ هُنَالِكَ شَيْءٌ عَنْهُ لَمْ يُبَيِّنْ؟  
فِي حَقِّ شَيْخِكَ.. لَمْ تَبْخَسْ وَلَمْ تُشْنِ  
وَأَنْسَ الَّذِي فَاتَ، بَلْ قُلْ: تِلْكَ لَمْ تَكُنْ!<sup>10</sup>  
مَا كَانَ سِرًّا وَمَا قَدْ بَانَ لِلْعَلَنِ.. !!  
وَلَا عَنِ الْوَاقِعِ السَّيَّارِ فِي ظَعَنِ  
فَى مَعَهُمْ طَعْمَ حُلُوِّ الْعَيْشِ وَالْحَشَنِ  
أَهْلَ الشَّدَائِدِ عَنْهُ.. سَلَّ ذَوِي الْمَحَنِ.. !  
وَي جُرْحَهُمْ وَيُسْرَى شِدَّةَ الْحَزَنِ  
لِمَا يُلَاقِيهِ أَهْلُ الضُّرِّ مِنْ وَهْنٍ  
فِي ظَهْرِهِ كُلِّهَا لَمْ يَشْكُ أَوْ يَلِنَ.. !!  
لِكُلِّ مَنْ أَظْلَمَتْ دُنْيَاهُ مُحْتَضِنٍ  
كَمْ مِنْ بِنَاءٍ عَلا مِنْ كَفِّهِ وَبُنْيٍ  
دَوْمًا بِإِشَادِهِ وَدَرْسِهِ اللَّسَنِ  
يَسْبِيكَ مِنْ غَيْرِ مَا لَحْنٍ<sup>12</sup> وَلَا لَكِنْ

8 - "قَدْنِي" بمعنى: حسبي، أي: كفائي، وهي عربية فصيحة.

9 - هذا جوابٌ عن الذي سبق في البيتين السابقين.

10 - الضمير في "تلك" عائدٌ إلى الأوصاف، أي: لا تعتبر ما مرَّ من الأوصاف حتى كأنها لم تكن، واسمع لِمَا سَأْنِيْتُكَ به من أوصافٍ له جديدة.

11 - الضمير في "دروسه" عائدٌ إلى الحجِّ المفهوم من السياق، وإن لم يسبق التصريحُ بذكره، وهذا جائزٌ في اللغة ومسموعٌ.

12 - "ما" زائدةٌ بين المضاف والمضاف إليه، ولا تؤثر في العمل.

سَمَا إِلَى مِنْبَرِ الْإِفْتَاءِ يَخْدُمُهُ  
فَكَانَ مَقْصِدَ مَنْ قَدْ ضَاقَ مَسْلُكُهُ  
وَهَذِهِ نَدْوَةُ الْبِكْرِيِّ<sup>14</sup> قَدْ شَهِدَتْ  
سَلِ الشَّبَابَ فَكَمْ مِنْ حَائِرٍ بَرَقَتْ  
سَلِ الْمَجَامِعِ وَالْأَعْيَادَ كَمْ مُلِكَتْ  
وَسَلِ تَرْبُصَ تَعْلِيمِ الصَّلَاةِ تَجِدْ  
كَمْ مِنْ صَغِيرٍ بِهِ قَدْ شَبَّ مُرْتَبِطًا  
وَانْظُرْ لِأَعْرَاسِنَا تَلْقَاهُ مُجْتَهِدًا  
تَزِينُهُ بِسَمَةِ أَحْلَى وَأَجْمَلُ مِنْ  
يَحْيَا التَّفَاوُلُ فِي اسْتِثْشَارِهِ وَتَرَى  
لَكِنَّهُ لَمْ يَعِشْ مِنْ هَوْلٍ مِخْنَتِهِ  
لَاقَى مِنَ الْهَوْلِ فِي إِضْلَاحِ أُمَّتِهِ  
فَكَمْ مِنَ الْإِفْكِ قَدْ نَالَتْهُ شِرُّهُ..  
وَكَمْ أَلِيمٍ شَدِيدٍ الْمُرِّ جُرْعَهُ..  
لَاقَى مِنَ الضَّرِّ مَا تَنْهَدُ أَعْظَمُهُ  
لَكِنَّهُ كَانَ لِلرَّحْمَنِ مُبْتَهَلًا  
فَلَيْسَ تُفْزَعُهُ مَا دَامَ مُعْتَمِدًا  
وَالْيَوْمَ مَا ضَرَّهُ مَا ذَاقَ مِنْ أَلَمٍ  
عَلَيْكَ رَحْمَةُ رَبِّي مَا انْتَبَرَى بَطْلٌ

فِي حُسْنٍ مَنَهْجِهِ الْأَصِيلِ وَالْمَرِنِ  
يَرْجُو لَهُ<sup>13</sup> مَخْرَجًا مِنْ فِقْهِهِ الْحَسَنِ  
بِحُسْنِ إِذْرَاكِهِ وَفَهْمِهِ الْقَطْنِ  
لَهُ الْهَدَايَةُ بَعْدَ الْوَحْلِ وَالْأَقْنِ  
بِهِ النُّفُوسُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَالشَّجَنِ  
هُ حَاضِرًا لَمْ يَغِبْ عَنْهُ وَلَمْ يَبِينِ  
بِدِينِهِ فِي شَدِيدِ الرِّيحِ لَمْ يَلِنِ  
فِيهَا يُبَاشِرُ وَضَعَ الْأَسِّ وَاللِّينِ<sup>15</sup>  
شَمْسِ الضُّحَى وَضِيَاءِ الْبَدْرِ فِي الدَّجَنِ..  
أَنَّ الْجَمَالَ التَّقَى فِي وَجْهِهِ الْحَسَنِ..!!  
فِي مَأْمَنِ.. فَعَنِ الضَّرَاءِ لَمْ يُصْنِ  
مَا يَقْصِمُ الْقَلْبَ مِنْ طَحْنٍ وَمِنْ طَعْنٍ..  
وَكَمْ مِنَ الزُّورِ لَاقَى مِنْ ذَوِي الْإِحْنِ..  
وَكَمْ جِرَاحٍ أَصَابَتْهُ وَكَمْ نَحْنِ..!!  
لَوْلَا الْمَحَبَّةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْوَطَنِ..!!  
حَتَّى يُخَفِّفَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مِخْنِ  
عَلَى الْإِلَهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ.. وَلْتَكُنْ..!!  
إِنْ كَانَ مُغْتَبِطًا بِالْحُورِ فِي عَدَنِ<sup>16</sup>  
لِخِدْمَةِ الدِّينِ لَمْ يَضْعُفْ وَلَمْ يَلِنِ

## 5- "شَيْخُنَا... صِفَاتُهُ وَخُلُقُهُ"

صِفْ لِي أَيَا خِلْ مَا قَدْ حَارَ مِنْ أَلْقٍ  
فَمَا تَبَوَّأَ بَيْنَ النَّاسِ مَنَزَلَهُ  
هَلْ يَزْتَقِي الْمَرْءُ قَدْرًا دُونَمَا خُلُقٍ؟!..  
قَدْ كَانَ شَيْخِي يَغْلُو بِشَرِّهِ مَرَحٌ  
لَا يَعْدِمُ الْمُتَلَقِّي سِحْرَ بَسْمَتِهِ  
فَإِنْ تَرَفَّقَ هَذَا الثُّغْرُ مُبْتَسِمًا

وَمَا لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ وَالْخُلُقِ  
إِلَّا بِبَحْرِ مِنَ الْأَخْلَاقِ مُنْدَفِقٍ  
وَهَلْ يُرَى ذَا سَوَى ضَرْبٍ مِنَ الْحُمُقِ؟!..  
وَبَهْجَةً مِثْلَ نُورِ الشَّمْسِ فِي الْأَفُقِ  
وَحُسْنَ ضِحْكَتِهِ مِنْ وَجْهِهِ الطَّلِقِ<sup>17</sup>  
بَدَا كَصُبْحٍ تَجَلَّى مِنْ دُجَى الْعَسَقِ

13 - الضَّمِيرُ فِي "يَرْجُو" وَفِي "لَهُ" عَائِدٌ إِلَى "مَنْ" فِي قَوْلِهِ: "فَكَانَ مَقْصِدَ مَنْ قَدْ ضَاقَ مَسْلُكُهُ".

14 - إِشَارَةٌ إِلَى حَضُورِهِ وَتَفَاعُلِهِ فِي نَدْوَةِ الْأَرْبَعَاءِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَلْبٍ (الْبَكْرِيُّ) -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-، وَمَا زَالَتْ مُسْتَمَرَّةَ الْعِطَاءِ إِلَى الْيَوْمِ.

15 - فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشَّيْخَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- كَانَ مِنْ مُؤَسِّسِي الْعُرْسِ الْجَمَاعِيِّ فِي بَرِيَان.

16 - الْأَصْلُ: "فِي عَدَنِ" -بِالسُّكُونِ- أَيْ: جَنَّةِ عَدَنَ، لَكِنْ فُتِحَتِ الدَّالُّ مِنْهَا ضَرْبَةً شَعْرِيَّةً.

17 - أَصْلُهَا: "الْحُمُقُ" -بِسُكُونِ الْمِيمِ- لَكِنَّهَا ضُمَّتْ إِتِبَاعًا لِلْحَاءِ الْمَضْمُونَةِ مَرَاعَاةً لِلْوِزْنِ.

18 - أَصْلُهَا: "الطَّلَقُ" -بِسُكُونِ اللَّامِ- لَكِنَّهَا كُسِرَتْ إِتِبَاعًا لِكُسْرِ الْقَافِ مَرَاعَاةً لِلْوِزْنِ.

سَمَحُ الْفُؤَادِ كَرِيمِ النَّفْسِ قَدْ رَشَحَتْ  
مِنْهَا الشَّجَاعَةُ وَالْإِقْدَامُ إِنْ جَلَلُ  
إِنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فِي عَلَنٍ  
فَيَزَكِبُ الْبَاسَ يُعْلِي السَّيْفَ مُنْطَلِقًا  
يَقُولُ: "نَفْسِي الْفِدَا لِلْحَقِّ مَا حَيِّتُ"<sup>19</sup>  
فَلَيْسَ يُثْنِيهِ مَا يَلْقَاهُ مِنْ نَكِدٍ  
لَكِنَّهُ لَمْ يَحُلْ مَا ذَاقَ مِنْ أَلَمٍ  
يَعْفُو وَيَصْفَحُ عَمَّنْ قَدْ أَسَاءَ لَهُ  
جَوَادُ كَفِّ فَلَيْسَ الْبُخْلُ شِيمَتَهُ  
وَلَيْسَ يَكْتُمُ عِلْمًا عَنْ مُجَالِسِهِ  
وَيَقْبَلُ النَّصْحَ مِمَّنْ جَاءَ يَنْصَحُهُ  
وَكَانَ يَدْعُو إِلَى تَبْذِ الشَّقَاقِ وَأَنْ  
وَتَنْزُكَ الْبُغْضِ وَالشَّحْنَاءِ دُونَ هُدَى  
كَمْ كَانَ يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ وَحْدَتِنَا  
وَكَانَ مُتَقِدًا بِالْعَزْمِ مُنْطَلِقًا  
وَكَانَ يُوقِدُ فِي أَرْجَائِنَا أَمَلًا  
يَسْعَى لِخِدْمَةِ دِينِ اللَّهِ مُرْتَجِيًا  
إِخْلَاصَهُ مِنْ وَرَاءِ الْقُصْدِ يَدْفَعُهُ  
وَالآنَ شَيْخِي قَدْ وَافَيْتَ مَا بَدَلْتُ  
عَلَيْكَ رَحْمَةً رَبِّي مَا ارْتَقَى أَحَدُ

مِنْهُ الصِّفَاتُ بِعِطْرِ زَائِقٍ عَبِقِ  
قَدْ عَنَّ مِنْ غَيْرِ مَا رَهْبَةٍ مِنْهُ وَلَا فَرْقِ  
رَأْيَتَهُ أَسَدًا يَشْتَدُّ فِي حَنْقِ  
كَمِثْلِ بَرْقِ لَجِيْشِ الظُّلَمِ مُحْتَزِقِ  
لِذَا سَأَصُمُّدُ حَتَّى آخِرِ الرَّمَقِ"  
عَنْ عَزْمِهِ، فَبِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَثِقِ  
عَنْ عَفْوِهِ.. فَبِرَحْبِ الصَّدْرِ لَمْ يَضِقِ  
فَكَانَ يَحْمِلُ قَلْبًا بِالنَّقَاءِ سُقِي..  
مِثْلُ السَّحَابِ إِذَا مَا سَحَّ بِالْغَدَقِ  
بَلْ كَانَ يَغْمُرُهُ صَبًّا إِلَى الْغَرَقِ...!!!  
مِنْ غَيْرِ ضَيْقٍ بِمَا قَدْ قَالَ أَوْ قَلَقِ  
نَرَى الْأُمُورَ بِفِكْرِ غَيْرِ مُنْغَلِقِ  
حَتَّى نَكُونَ أَحِلَاءَ بِلَا رَهَقِ  
فَكَانَ ثَاقِبَ فِكْرٍ وَاسِعِ الْأُفُقِ  
فَمَنْ يُشَاهِدُ نَشَاطًا مِنْهُ يُنْطَلِقِ...!!  
فَيَسْتَفِيْقُ بِهِ مَنْ كَانَ لَمْ يُفِقِ..  
إِحْيَاءَهُ بِفُؤَادٍ فِيهِ مُحْتَزِقِ  
فَيُبْصِرُ الصَّغْبَ سَهْلًا دُونَمَا فَرْقِ  
يُمْنَاكَ فَاهْنَأْ بِعَيْشِ الصِّفَا فِي الْخُلْدِ وَاعْتَبِقِ  
بَيْنَ الْوَرَى بِكَرِيمِ الطَّبْعِ وَالْخُلُقِ

## 6- "شَيْخُنَا مُحَمَّدُ دَرُشُومٌ" .. "وَمَعَاشُ رِثَاءٍ"

ضَاعِفٌ جِهَادَكَ فِي دُنْيَاكَ وَالْعَمَلَا  
أَحْسِنْ خَلَاصَكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ فَلَا  
مَا زِينَةُ الْعُمُرِ وَالْدُّنْيَا وَرُخْرُفُهَا  
سِوَى سَرَابٍ مِنَ اللَّذَاتِ تَجْمَعُهُ  
فَلَا تَكُنْ بِلَذِيذِ الْعَيْشِ ذَا فَرَحٍ  
وَاحْذَرْ هَوَاكَ إِذَا مَا رَنَّ فِي هَمْسٍ  
كَمْ مِنْ فَتْيٍ نَمَا فِي غَضِّ رَهْرَتِهِ  
فَشَمِّرِ الدَّيْلَ، شُدَّ الْعَزْمُ مُسْتَبِقًا  
هَٰذَا الْجُمُوعُ تَرَاهَا وَهِيَ مُذْبِرَةٌ

فَكَلَّنَا فِي غَدٍ تَلْقَاهُ مُرْتَجِلًا  
تَذَرِي مَتَى -يَا صَدِيقِي- تُبْصِرُ الْأَجَلَا  
وَمَا الَّذِي خَلَّتْهُ فِي طَعْمِهِ عَسَلَا  
فِي سَاعَةٍ.. بَعْدَهَا قَدْ صَارَ مُنْتَقِلًا..!!  
وَلَا تَكُنْ بِبَرِيقٍ مِنْهُ مُحْتَبِلًا  
أَنْ: "عِشْ تَمَتَّعْ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَبْصَلَ!"  
وَالْمَوْتُ يَنْسُجُ مِنْ أَثْوَابِهِ حُلَلَا  
وَطَلَّقِ الْيَأْسَ وَاللَّذَاتِ وَالْكَسَلَا  
لِمَوْتِهَا كُلَّ يَوْمٍ.. لَا تَكُنْ غَفِلَا

19 - "ما" هنا مصدرية ظرفية أي: مدة حياتها.

وَإِنْ رَأَيْتَ حُمَاةَ الْعِلْمِ آيِبَةً  
فَاعْلَمْ بِأَنَّ الدُّنَا قَدْ حَانَ مَوْعِدُهَا  
فَامْسَحْ دُمُوعَكَ إِنَّ هُمْ عَنْكَ قَدْ رَحَلُوا  
يَا شَيْخَنَا الشَّهْمَ عَنَّا قَدْ رَحَلَتْ وَقَدْ  
فَبَارِزَتِ حَالِكَ غَشَّانَا الظَّلَامُ ضُحَى  
صِرْنَا يَتَامَى نُعَزِّي فَقَدْ وَالِدِنَا  
يَا أَيُّهَا الْمَوْتُ رِفْقًا بِالْقُلُوبِ فَقَدْ  
يَا حَامِلِي النَّعْشِ هَلْ تَدْرُونَ حِمْلَكُمْ؟؟..  
تَرْفُقُوا.. أَشْبِلُوا عَظْفًا عَلَيْهِ فَلَا  
كَيْفَ اسْتَطَعْتُمْ لَهُ حَمَلًا بِأَظْهُرِكُمْ  
كَيْفَ اسْتَطَعْتُمْ لَهُ دَفْنًا وَكَانَ لَكُمْ  
كَيْفَ اسْتَطَعْتُمْ لَهُ تَرْكًا هُنَاكَ؟؟، وَهَلْ  
مَا أَفْجَعَ الْمَوْتُ إِذْ يَغْدُو بِصُحْبَتِنَا  
مَا أَذْرَفَ الْمَوْتُ لِلْأَحْزَانِ دَائِمَةً!!  
يَا لِحُظَّةٍ جَاءَ فِيهَا نَعْيُ قَائِدِنَا  
صَارَ الضُّيَاءُ ظِلَامًا دَامِسًا وَغَدَتْ  
صِرْنَا حَيَارَى فَلَا نَدْرِي أَنْزَعُبُ فِي  
وَهَلْ نَصَدِّقُ مَا قَدْ قِيلَ أَمْ هِيَ أَخْ  
لَكِنَّهُ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ قَدْ رَضِيَ  
غَادَرَتْ فِي عُمْرٍ بِالْجِدِّ مُرْدَهْرُ  
أَمْ فِي فُؤَادِكَ لِلْفِرْدَوْسِ فَرْطُ هَوَى  
فَاهْنَأْ بِمَا قَدَّمْتَ يُمْنَاكَ مِنْ عَمَلٍ  
وَمَا الَّذِي فَاتَ مِنْ دُنْيَاكَ مِنْ تَعَبٍ  
وَقَرَّتِ الْعَيْنُ أَنْ تَحْظَى بِرُؤْيَيْهَا  
وَطَابَ كَفُّكَ -مَا أَحْلَاهُ مِنْ نُزُلٍ-  
آه.. وَآه عَلَى اللَّذَاتِ تَضَرَّفْنَا  
أَلَمْ تَضِقْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا  
هَلْ يَزْتَجِي عَاقِلٌ عَنْ حُسْنِهَا حَسَنًا؟!  
هَلْ يَطْلُبُ الْمُكْتَفِي فِي سِجْنٍ عَلَى صَنْكِ  
وَكَيْفَ يَزْتَاخُ فِي الدُّنْيَا عَلَى فَرَحٍ  
وَهَلْ أَجَادَ بِمَا وَفَاهُ مِنْ عَمَلٍ<sup>20</sup>  
مَا أَعْجَبَ الْمَرْءَ إِذْ يَخْتَارُ مَسْلَكَهُ  
مَا أَحْبَبَتْ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ إِذْ مَلَكَ  
حَتَّى تَرَاحَى إِلَى اللَّذَاتِ فِي سَرَفٍ

وَنَجْمَ أَهْلِ التُّقَى لِلْمَوْتِ قَدْ أَقْلَا  
لِذَا اسْتَعِدَّ وَكُنْ بِالْجِدِّ مُشْتَمِلًا  
لَا سَيِّمًا إِنْ يَكُنْ أَرْشُومُنَا انْتَقَلَا  
أَشْرَفْتَ فِينَا، وَكَانَ الْبَدْرُ مُكْتَمِلًا  
وَعَابَتِ الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ الْبَهِيمُ تَلَا  
نَبِيكَ دَمْعًا غَزِيرًا مِثْلَ مَنْ تَكَلَّا  
أَثَرْتَ فِينَا فَصَارَ الدَّمْعُ مُنْسَبِلًا  
لَمْ تَحْمِلُوا جُنَّةً.. بَلْ سَيِّدًا بَطَلًا!!  
تَسْتَسْرِعُوا خَطْوَكُمْ وَلَبَسُوا الْمَهَلَا  
نَحْوَ الْفِرَاقِ الَّذِي قَدْ صَارَ مُنْتَقَلًا!!؟  
بِالْأُمْسِ شَيْخًا وَكُلُّ يَبْتَغِي نَهْلًا!!؟  
لِقَلْبِكُمْ أَنْ يَرَى هَذَا وَيَحْتَمِلًا!!؟  
نَحْوَ الْفِرَاقِ فَلَا لُقْيَا وَلَا أَمَلًا!!  
مَا أَصْعَبَ الْبُعْدَ عَمَّنْ كَانَ مُتَّصِلًا!!  
قَدْ كُنْتَ أَصْعَبَ مِنْ سَيْفٍ إِذَا نَصَلَا  
وَجُوهُنَا نُورُهَا بِالْحُزْنِ قَدْ أَقْلَا  
حَيَاتِنَا هَذِهِ أَمْ نَبْتَغِي نُفْلَا  
سَبَارُ تَحَاكُ وَكَذَبُ كَانَ مُفْتَعَلَا  
نُفُوسَنَا بِالَّذِي يَقْضِيهِ جَلَّ عَلَا  
عُمْرِ الشَّبَابِ فَلَمْ تَتْرُكْ لَنَا أَمَلًا  
شَوْقُ عَظِيمٍ فَأَسْرَعْتَ الْخَطَا عَجَلًا!!  
وَاهْنَأْ بِخَيْرِ مُقَامٍ حُزَّتُهُ نُزُلًا  
إِنْ كُنْتَ بِالْخُصْرِ وَالتَّيْجَانِ مُشْتَمِلًا!!  
خَيْرَ الْخَلَائِقِ وَالْأَصْحَابِ وَالرُّسُلَا..  
بِالشُّرْبِ مِنْ حَوْضِهِ الْمَيِّمُونَ مُنْتَهَلَا  
عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ.. آه.. عَزَّ ذَا فَشَلَا  
عَنْ فُسْحَةِ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ؟... بَلَى  
وَيَبْتَغِي بِحُطَامِ زَائِلٍ بَدَلًا؟!  
وَلَا يُرِيدُ إِلَى الْفِرْدَوْسِ مُنْتَقَلًا؟!  
وَلَيْسَ يَدْرِي أَنَّ الْخُلْدَ وَالْحُلَلَا؟!  
حَتَّى ارْتَقَى لِرِضَى الرَّحْمَنِ جَلَّ عَلَا؟  
فِي مَغْزَلٍ عَنْ سَبِيلِ الْعَقْلِ وَالْعُقْلَا..!!  
عَقْلَ الْحَلِيمِ، وَبِالْإِعْزَاءِ قَدْ سَدَلَا..!!  
وَصَارَ يَتَّبِعُ فِي آفَاتِهِ الْجَهْلَا

20 - هذا السؤال معطوف على قوله "أَنَالَ الْخُلْدَ وَالْخُلَا" أي: وليس يدري أَنَالَ الْخُلْدَ وَالْخُلَا، وليس يدري هل أجاد بما وفاه من عمل..".

وَبَارَزَ اللّٰهَ بِالْعِصْيَانِ مِنْهُمْ مَّكَا  
هَلَا يُفِيْقُ وَقَدْ وَلَّتْ شَيْبَتُهُ  
أَمْ قَلْبُهُ صَارَ أَذْرَانًا مُحَجَّرَةً  
فَعُدَّ إِلَى اللّٰهِ يَا مَنْ كَانَ مُبْتَعِدًا  
هَيَّا إِلَى حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ تَدْخُلَهَا  
وَأَنْسَ الَّذِي فَاتَ فَالْغَفَّارُ يَغْفِرُهُ  
مَا أَشْعَدَ الْمَرْءَ إِنْ دَاوَى بِتَرْكِئَةٍ  
فَالنَّفْسُ يَشْقَى بِهَا الْإِنْسَانُ جَامِحَةً  
تَسْتَدْرِجُ الْمَرْءَ لِلذَّاتِ فِي مَهَلٍ  
حَتَّى يَرَى ذَنْبَهُ فِي غَيْرِ مَظْهَرِهِ  
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ لَذَاتُهُ وَدَرَى  
فَحِينَهَا لَيْسَ تُجْدِي عَنْهُ دَمْعُهُ  
فَإِنْ أَرَدْتَ مَقَامَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهُ  
وَاطْلُبْ مِنَ اللّٰهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ مَدَدًا  
أَرْشُومُ يَا شَيْخَنَا ذِكْرَاكَ بَاقِيَةً  
صَدَى دُرُوسِكَ فِي أَرْجَائِنَا يَقْظُ  
وَإِنْ فِينَا عَظِيمَ الشُّوقِ يَدْفَعُنَا  
رِيَانُ لَمْ تَنْسَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ  
وَنَحْنُ إِذْ نَذْرِفُ الْأَحْزَانَ نَذْرِفُهَا  
نَخَافُ تَضْيِيعَ مَا أَوْدَعْنَاهُ لَنَا  
عَلَيْكَ رَحْمَةً رَبِّي مَا أَنْجَلَى قَتْمُ

وَأَنْهَكَ الْجِسْمَ فِي إِيْتَابِهِ الزَّلَّالَا  
فِي إِثْمَهَا فَيُجِيدُ الْعَزْمَ وَالْعَمَلَا  
لَا يَسْتَفِيْقُ إِلَى أَنْ يُبْصِرَ الْأَجَلَا  
عَنْ رَبِّهِ.. فَسِتَارُ الْعَفْوِ مَا أَنْسَدَلَا  
فَبَابُ رَبِّكَ مَفْتُوحٌ.. فَلَا تَهَلَا  
إِيَّاكَ أَنْ تُوصِدَ الْأَبْوَابَ وَالسُّبُلَا  
لِنَفْسِهِ.. فَارْتَقَى مِعْرَاجَ مَنْ وَصَلَا.. !!  
إِلَّا إِذَا لِهَوَاهَا كَانَ قَدْ عَقَلَا  
وَتُلْبِسُ الذَّنْبَ مِنْ أَثْوَابِهَا حُلَلَا  
وَمَا دَرَى أَنَّهَا قَدْ أَحْكَمَتْ حَيْلَا  
أَنَّ الْمَعَاصِي سُمٌّ ظَنَّهُ عَسَلَا  
وَقَدْ رَأَى الْمَوْتَ.. وَالْإِحْسَاسُ قَدْ ثَقَلَا  
فَزَكَ نَفْسَكَ وَاحْذَرُ أَنْ تَرَى خَطَلَا<sup>21</sup>  
وَحُسْنَ عَوْنٍ وَتَوْفِيقًا لِكَيْ تَصِلَا  
فَلَا تَخْلُ أَنْ فِينَا مِنْ ضِيَاكَ<sup>22</sup> سَلَا  
مَهْمَا مَضَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مَا بَطَلَا  
إِلَى اللَّقَا عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ -جَلَّ عَالَا-  
قَدْ كُنْتَ سَيِّدَهَا وَالشَّهْمَ وَالْبَطَلَا  
فِي حَقِّنَا نَحْنُ لَا فِي حَقِّ مَنْ أَفَلَا  
كَيْفَ اللَّقَاءُ إِذَا لَمْ نُحْسِنِ الْعَمَلَا  
عَنْ أَفْقِنَا.. فَتَبَدَّى نُورُهُ أَمَلَا.. !!

## 7- "شَيْخُنَا مُحَمَّدُ ارْشُومُ" ... "شَمْرُغُ امَلِ"

أَلَا يَزَالُ لَهَيْبُ الشَّعْرِ يَضْطَرُّ؟  
أَلَا يَزَالُ حَدِيثُ فَيْكَ مُنْكَتِمًا  
لَا.. لَا أَظُنُّ بِأَنِّي قَدْ وَفَيْتُ وَلَوْ  
بَلْ أَجْرُهُ سَوْفَ يَلْقَى وَافِيًا كَمَلًا  
هَذَا نِدَاءٌ لِإِخْيَاءِ الصَّمَائِرِ كَي  
هَذَا بَرِيقٌ بَدَا وَشَمْعَةٌ لَمَعَتْ  
كَفَى دُمُوعًا وَأَحْزَانًا نُرَجِّعُهَا

أَمْ أَنَّهُ خَانَهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ؟!  
فِي حَقِّ شَيْخِكَ أَمْ وَقَفْتُ ذِي<sup>23</sup> الْكَلِمُ  
تَهَاطَلَ الشَّعْرُ بَحْرًا فِيهِ يَنْتَظِمُ  
عِنْدَ الْإِلَهِ تَعَالَى.. لَيْسَ يَنْعَدِمُ  
تَقْوَى عَزَائِمُنَا وَتَنْهَضَ الْهَمُّ  
مِنَ التَّفَاوُلِ حَتَّى تَنْجَلِي الظُّلُمُ  
مَا فَاتَ فَاتَ.. وَمَا يَأْتِي سَيَقْتَحِمُ

21 - الضمير في "ترى" عائد إلى "نفسك"، أي: احذر أن ترى نفسك خطيئاً.

22 - مفعولٌ مقدّم لقوله: "سَلَا" بمعنى: نسي، أي: ليس فينا من سَلَا ضيائك.

23 - "ذِي" هنا اسم إشارة وليست التي هي بمعنى صاحب.

وَهَلْ جَنَى ذُو الْأَسَى غَيْرَ الْبُكَاءِ إِلَى  
فَلَيْسَ حَيًّا يَعِيشُ الْعُمْرَ مُبْتَهَجًا  
إِنْ سَيِّدٌ فَاتَ أَسيَادُ قَدْ انْتَصَبُوا  
لَا تَلْتَفِتْ نَحْوَ مَنْ يَبْكِي وَيَنْدُبُ مَا  
"وَالْخَيْرُ قَدْ مَاتَ وَالْأَبْرَارُ قَدْ رَحَلُوا  
فَقُلْ لَهُ: "أَنْتَ مِنْهُمْ.. لَيْسَ بِأُسْكَ خَيْرٌ  
مَنْ شَمْسُ بَهْجَتِهِ إِلَى التَّفَاوُلِ قَدْ  
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَيْشِهِ تَعَسَا  
فَلْتَنْهَضُوا يَا شَبَابَ الْجِيلِ وَاتَّقِدُوا  
هَيَّا أَرِيحُوا سِتَارَ النَّوْمِ وَارْتَقِبُوا  
عُودُوا إِلَى الْعِلْمِ فِي صَبْرٍ وَفِي دَأْبٍ  
وَاسْعُوا لِنَجْدَتِنَا مِنْ بُطْءِ نَهْضَتِنَا  
دَعُوا التَّثَاقُلَ وَالْإِهْمَالَ فِي كَسَلٍ  
أَنْتُمْ بُنَاةُ الْعِلَا وَالْمَجْدِ فَاَنْتَزِعُوا  
وَلَا تَقُولُوا: "رَأَيْنَا الدَّهْرَ مُنْكَدِرًا"  
وَلَا تَقُولُوا: "رَأَيْنَا النَّاسَ فِي ظُلْمٍ"  
وَلَا تَقُولُوا: "وَجَدْنَا الْمَجْدَ مُرْجِلًا"  
وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ عُمْرَ الْمَرْءِ مُنْفَتِلٌ  
وَلْتَجْعَلُوا شَيْخَنَا أَرْشُومَ قُدُوتِكُمْ  
وَلْتَجْعَلُوا مِنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ مُسْتَنَدًا  
حَتَّى تَكُونُوا لَنَا عِزًّا وَمَفْخَرَةً..  
عَلَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّي مَا انْجَلَى حَزَنٌ

أَنْ حَرَّ كَلًّا وَقَدْ أَوْدَى بِهِ السَّقَمُ  
وَلَا بِمَيِّتٍ تَوَلَّى ذِكْرَهُ الْعَدَمُ  
فَالدَّهْرُ مَا ضَنَّ، وَالْأَسْيَادُ مَا عُدِمُوا..!!  
قَدْ فَاتَ ثُمَّ يَقُولُ: "الْعِلْمُ مُنْصَرِّمٌ"  
فَلَيْسَ فِينَا سِوَى الْأَشْرَارِ تَزْدَحِمُ  
رَا مِنْهُمْ إِذْ رَأَيْتَ أَنَّهُمْ أَثْمُوا"  
غَابَتْ وَحَلَّ بِهِ التَّثْبِيطُ وَالْقَتْمُ  
وَصَدْرُهُ بِالْبُكَاءِ وَالْحَزْنِ مُضْطَرِمٌ..!!  
عَزَمًا فَأَنْتُمْ شُمُوسُ الْأَفْقِ وَالنُّجُومُ  
مَا سَوْفَ يُغْلُو بِكُمْ فَأَنْتُمْ الْقِمَمُ..  
تَبْدُوا لَكُمْ بَارِقَاتُ الدَّرِّ وَالْجَكَمِ  
وَمَنْ تَخَلَّفْنَا تَرْقَى بِنَا الْأُمَمِ  
وَلْتَحْذَرُوا أَنْ يَطَالَ سَعْيِكُمْ سَاءَمٌ  
عَنْ كَفِّكُمْ غَلَّهَا.. وَالسَّعْيُ فَافْتَحِمُوا  
فَالدَّهْرُ يَسْعُدُ إِنْ ثَارَتْ لَكُمْ هِمَمٌ..!!  
فَأَنْتُمْ الشَّمْسُ تُجَلَّى عَنْهُمْ الظُّلْمُ..!!  
فَاسْتَسْرِعُوا الْخَطُوءَ.. وَالْإِثْقَانَ فَالْتَزِمُوا  
مَهْمَا يَطُلُ.. فَلَيْذَا أَوْقَاتُهُ اغْتَنِمُوا  
وَكُلَّ مَنْ زَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ وَالشَّيْمُ  
وَاسْتَلْهِمُوا مَا بِهِ قَدْ كَانَ يَتَّسِمُ  
فِي صَدْرِكُمْ سَاطِطَاتُ الْمَجْدِ تَنْتَظِمُ  
وَمَا سَمَتْ بِاجْتِهَادٍ مِنْكُمْ الْأُمَمُ

## 8- "شَيْخُنَا مُحَمَّدُ أَرْشُومٌ" ... "خِتَانُ الْقَوَافِي"...

هَـذِي قَوَافِيٍّ مِمَّا كَانَ مُتَّقِدَا  
فِي حَقِّ شَيْخِي أَرْشُومِ أَرْصَعَهَا  
وَلَا يَزَالُ لَهَيْبِ الْوَجْدِ مُضْطَرِمًا  
لِكِنِّي أَوْثِرُ الْإِمْسَاكَ فِي قَلَمِي  
قَدْ حَلَقْتُ<sup>24</sup> فِي أَعَالٍ لَا سَمَاءَ لَهَا  
وَأَسْمَعْتُ نَعْمًا إِيْقَاعُهُ بِسَمَا

فِي سِرِّ رُوحِي مَا أَرَحَى<sup>24</sup> وَمَا بَرَدَا !!  
وَلَا يَزَالُ هَدِيرُ الشُّوقِ مَا جَمَدَا  
وَلَا يَزَالُ حَدِيثُ الْقَلْبِ مَا نَفَدَا  
فَحَثُّ هَـذِي الْقَوَافِي قَدْ دَنَا وَبَدَا  
وَرَفَرَفَتْ فِي مُرُوجِ مِسْكَهَا صَعْدَا..!!  
تُ الشَّيْخِ أَحْلَى مِنَ الْعُصْفُورِ حِينَ شَدَا..

24 - هذا الفعلُ مفعولُهُ محذوفٌ أي: ما أَرَحَى سِتَارَهُ، أو نحوهً من التقديرات التي تتبادرُ لكلمة "أَرَحَى".

25 - الضَّمِيرُ فِي "حَلَقْتُ" عائدٌ إلى "القوافي".

ذَكَرَكَ فِي خَلْدِي يَا شَيْخُ خَالِدَةَ  
مَا ضَرَّ أَنْ كُنْتُ تَحْتَ الْأَرْضِ مُضْطَجِعًا  
مَا ضَرَّ أَنْ غِبْتَ عَنَّا الْيَوْمَ مُبْتَعِدًا  
وَكَانَ خَيْرُكَ فِينَا سَاطِعًا يَقْظًا  
قَدْ عَمَّ عِطْرُكَ أَقْصَانَا وَأَقْرَبَنَا  
وَفَيْضُ عِلْمِكَ قَدْ عَمَّ الرُّبُوعَ إِلَى  
رِيَانٍ شَاهِدَةٍ لَمْ تَنْسَ سَيِّدَهَا  
مَا زَالَ صَوْتُكَ فِي مَحْرَابِنَا، وَبِهِ  
فَنَمُ قَرِيرًا.. وَطِبَ نَفْسًا بِمَا كَسَبْتَ  
يَا رَبَّنَا رَحْمَةً تَسْمُو بِقَائِدِنَا  
أَكْرِمُ وَفَادَتَهُ.. وَأَعْلَى مُدْخَلَهُ  
وَجَازِهِ بِكَرِيمِ الْأَجْرِ مِنْكَ وَلَا  
الْحِفْهُ بِالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ غَدًا  
وَرَوْ مُهْجَتَهُ مِنْ حَوْضِ سَيِّدِنَا  
وَاغْسِلْ خَطَايَاهُ، وَاسْتُرْ عَيْبَهُ.. وَلَهُ  
الْحَقُّ بِهِ أَهْلُهُ.. وَأَعْلَى شَرْقًا  
وَلَقْنَا فِي جَنَانِ الْخُلْدِ عِنْدَكَ -يَا  
يَا رَبَّنَا هَذِهِ الْأَعْدَاءُ قَدْ كَثُرَتْ  
يَا رَبِّ يَرْجُونَ إِخْمَادًا لِدِينِكَ فِي  
يَا رَبِّ هَاهُمْ أَتَوْا يَرْجُونَ ذِلَّتَنَا  
يَا رَبِّ يَرْجُونَ أَقْصَانَا بِكَيْدِهِمْ  
يَا رَبَّنَا قَدْ غَلِبْنَا فَاحْمِنَا وَقِنَا  
يَا رَبَّنَا غَزَةَ الْأُمَجَادِ فِي وَهْنِ  
يَا رَبِّ فَانْصُرْهُمْ.. وَكُنْ لَهُمْ سَنَدًا  
أَفْنِ الْيَهُودَ وَأَذْنَابًا لَهُمْ وَقِنَا  
يَا رَبِّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَارْحَمْ صَوْتَ دَعْوَتِنَا  
لَمْ نَلْتَجِئْ بِسِوَاكَ.. لَمْ نَرْمُ أَحَدًا<sup>26</sup>  
وَصَلِّ دَوْمًا عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا

مَهْمَا مَضَى الدَّهْرُ حَتَّى أَلْتَقِيكَ<sup>26</sup> غَدًا  
إِنْ كَانَ حُبُّكَ فِينَا ثَابِتًا أَبَدًا.. !!  
إِنْ كَانَ حُسُّكَ فِينَا الْيَوْمَ مُتَّقِدًا.. !!  
فَكُلْنَا لَكَ طِيبَ النَّفْسِ قَدْ شَهَدَا.. !!  
فَلَمْ يَدْعُ أَحَدًا شَيْخًا وَلَا وَلَدًا.. !!  
أَنْ أَزْهَرَ الْوَرْدُ فِي الْأَرْجَاءِ وَاطْرَدَا..  
وَلَمْ تَخُنْكَ.. وَقَلْبُ النَّاسِ مَا جَحَدَا  
تَسْمُو النَّفُوسُ إِلَى آفَاقٍ مِنْ سَعِيدَا  
يُمْنَاكَ.. وَالْأَجْرُ عِنْدَ اللَّهِ -جَلَّ- غَدًا  
إِلَى الْجَنَانِ بِمَا قَدْ كَانَ مُجْتَهِدَا  
أَفْرَغْ عَلَيْهِ الصُّيَا وَالثَّلْجَ وَالبَرْدَا  
تَحْرِمُهُ حُسْنَ الثَّنَا وَالْعِزَّ وَالرَّغْدَا  
وَبِالنَّبِيِّينَ وَالْأَصْحَابِ وَالشُّهَدَا  
بِشَرِّةٍ لَيْسَ يَظْلَمَا بَعْدَهَا أَبَدًا  
حَقِّقْ لَوْعِدِكَ<sup>27</sup> يَا خَيْرَ الَّذِي وَعَدَا  
وَأَجْعَلْهُ فِي زُمْرَةِ السُّبَّاقِ وَالسُّعَدَا  
رَبِّ الْعِبَادِ- بِهِ.. يَا خَيْرَ مَنْ قُصِدَا  
وَأَجْلَبَتْ خَيْلَهَا وَالرَّجُلَ وَالْحُشْدَا  
مَكْرٍ.. وَقَدْ مِلَّتْ أَنْفُسُهُمْ حَسَدَا  
مِنْ بَعْدِ عِزَّتِنَا.. فَاقْتُلْهُمْ بَدَدَا  
فَكَمْ قَتِيلٍ وَمَجْرُوحٍ وَمَنْ طُرِدَا  
شَرَّ الْأَعَادِي وَمَنْ أَعْطَاهُمْ الْمَدَدَا  
وَلَا نُطِيقُ لَهُمْ نَصْرًا وَمُسْتَنَدَا  
وَدَاوِ جُرْحَهُمْ وَلْتَرْحَمِ الشُّهَدَا  
شُرُورَهُمْ.. فَسَنَا أَرْجَائِنَا فَسَدَا  
فَكُلْنَا لِضِيَاءِ النَّصْرِ قَدْ نَشَدَا  
حَقِّقْ لَنَا مَا رَجَوْنَا.. أَنْتَ مَنْ قُصِدَا...  
وَصَحْبِهِ وَعَلَى مَنْ فِي الْهَدَى رَشَدَا...

-تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ- الْمَجْمُوعَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي ثَمَانِ قَصَائِدَ، وَمِائَتَيْنِ وَثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ بَيْتًا،

26 - أصلها "الْتَقِيكَ" بفتح الباء منصوبٌ بـ "أَنْ" مضمرةٌ بعد "حَتَّى"، لَكُنْهَا سَكِنَتْ هُنَا ضَرْوَةً.

27 - اللَّامُ فِي "لَوْعِدِكَ" زائدةٌ فِي الْمَفْعُولِ، وَالْأَصْلُ: حَقَّقْ وَعْدَكَ.

28 - أَي: لَمْ نَرْمُ أَحَدًا سِوَاكَ، خَذِفَتْ "سِوَاكَ" لِتَقْدُمِهَا فِي الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ.

وَكُلُّهَا مِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ -

قربة النَّبَاغِيَّة - شَنْقِيط (مُورِتَانِيَا) لَيْلَةُ الْأَحَد 24 ذِي الْحِجَّة 1445هـ /

يُؤَافِقُهُ 30 جَوَان 2024م

-تَلْمِيزُكَ وَمُحِبُّكَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشِيرٍ بْنِ عَيْسَى دَبُوز-